Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الإيقاع الموسيقى فى شعر ابن زيدون

١

الموسيقى أساسية فى كل شعر، فهى جوهره ولبّه، وبدونها لا يكون الشعر شعرًا، إذ هى ركنه الذى لا يقوم بدونه، وهى ركن قديم قدم الحياة الإنسانية، فمنذ وجد الشعر وجدت معه موسيقاه، بل هو إنما تخلّق فى أحشائها، ولم يتخلق وحده بل تخلق معه النغم أيضًا، فقد كان لسان آبائنا الأولين أشبه بمحيط متجمد، من الصعب أن تسيل عليه الألفاظ فضلًا عن الأشعار، فلجأ الإنسان إلى الصياح بأصوات مبهمة، يريد أن يذيب هذا المحيط أو جوانب منه، ومع الزمن أخذت هذه الأصوات تتحول إلى مقاطع، ومضى الإنسان فى دأبه يصيح صياحًا عاليًا حتى تحولت المقاطع إلى ألفاظ يعبر بها عن الأشياء المحسوسة فى الطبيعة، وظل يجد صعوبة هائلة فى التعبير عن أحاسيسه ومشاعره، فعمد إلى الصياح والهتاف يُشْركهما فى التعبير عن خواطره، وارتقى بهما فنونًا من الرقى فى آماد متطاولة من الزمن، وإذا هو يتحول بالهتاف والصياح فى التعبير عن خواطره إلى نظام موسيقى، مازال يتدرج به حتى أعطاه فى الشعر شكلًا كاملًا. وهو نظام أراد به من جهة أن يستتم فى الشعر تعبيره الوجدانى، ومن جهة ثانية أن يقتطع لنفسه من مجرى الزمن لحظات شعرية خالدة ممتعة، لا نكاد نلم بها حتى تخرجنا من عالمنا الحاضر إلى عالم حالم. ومردّ ذلك أننا نعيش فى حياتنا اليومية معيشة نفسية لا يسودها أى نسق أو نظام، بل تسودها الفوضى إذ تموج دخائلنا بما لا يكاد يحصى من الخواطر والخوالج والنزعات والرغبات المتباينة الجامحة، حتى إذا استمعنا إلى قصيدة أو مقطوعة شعرية أحسسنا كأن قيثارة نفوسنا فى الداخل يعود إلى أوتارها نظامها، فلا جموح ولا تباين ولا فوضى، بل تنسيق وتساوق لمشاعرنا وخوالجنا، وكأنما أعيد تكويننا النفسى الداخلى إعادة جديدة، فلم نعد